

الحلقة التاسعة والأربعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل تعلم مستمعي أهمية الإيمان في حياتك؟ إن ضرورة الإيمان تتجلى في موقفنا من الأمور غير المنظورة، إذ أن الأمور المنظورة ليست بحاجة إلى إيمان، لأننا نراها ونلمسها. فالله العظيم الخالق غير منظور بالنسبة لنا، ولهذا نحن بحاجة إلى الإيمان فيه، لكي نعترف بوجوده ونثق به. وكذلك إن كلمة الله الحية التي أبقاها معنا، هي منظورة بالنسبة لنا من ناحية الشكل فقط، أي من حيث وجود كتاب نطلق عليه الكتاب المقدس. لكن علينا أن نؤمن ونصدق أن هذا الكتاب هو كلمة الله الحية الفعالة التي أبقاها الله بين أيدينا، وأن نعمل بما جاءت فيه.

والإيمان هو عكس الشكوك والظنون. فعندما يكون إيماننا صحيحاً ينتفي الشك وكذلك الظنون. لعل السؤال الآن هو: هل هناك درجات في الإيمان؟ أي هل يكون الإيمان أحياناً قوياً وأحياناً أخرى ضعيفاً؟ للإجابة عن هذا السؤال الهام، نورد الحادثة التالية التي دونها لنا الإنجيل المقدس:

«وَلَمَّا جَاءُوا - أي المسيح وتلاميذه - إِلَى الْجَمْعِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلٌ جَائِعًا لَهُ وَقَائِلًا: «يَا سَيِّدُ، ارْحَمِ ابْنِي فَإِنَّهُ يُصْرَعُ وَيَتَأَلَّمُ شَدِيدًا، وَيَقَعُ كَثِيرًا فِي النَّارِ وَكَثِيرًا فِي الْمَاءِ. وَأَحْضَرْتُهُ إِلَى تَلَامِيذِكَ فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَشْفَوْهُ». فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَيُّهَا الْجِبِلُّ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ، أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ؟ إِلَى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ؟ إِلَى مَتَى أَحْتَمِلُكُمْ؟ قَدِّمُوهُ إِلَيَّ هَهُنَا!» فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ، فَخَرَجَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ. فَشَفِيَ الْعُلَامُ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ. ثُمَّ تَقَدَّمَ التَّلَامِيذُ إِلَى يَسُوعَ عَلَى انْفِرَادٍ وَقَالُوا: «لِمَآذَا لَمْ نَقْدِرْ نَحْنُ أَنْ نُخْرِجَهُ؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لِعَدَمِ إِيْمَانِكُمْ. فَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيْمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهَذَا الْجِبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ، وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمَكِّنٍ لَدَيْكُمْ» (بشارة متى ١٧: ١٤-٢٠). سنأمل الآن بهذه الحادثة فابقوا معنا.

مستمعي الكريم، نلاحظ من هذه الحادثة أن تلاميذ المسيح الذين كانوا لوحدهم عندما كان في جبل التجلي، لم يستطيعوا شفاء ابن الرجل الذي كان يصرعه الشيطان. فلامهم المسيح لعدم إيمانهم. بينما استطاع المسيح بكلمة واحدة أن ينتهر الشيطان ويشفي الغلام. وهنا نجد قوة المسيح العجائبية العظمى، فهو كابن الله، يستطيع أن يقوم بكل هذه العجائب الباهرة. وهو الذي أقام الموتى وأعاد البصر للعميان، وجعل الأصم والأخرس يسمع ويتكلم، والكسح يمشي، وهو الذي أشبع الجياع، وأخرج الأرواح الشريرة. ولهذا لم يكن غريباً الآن أن يُخرج الشيطان ويشفي الغلام.

وعندما سأل التلاميذ المسيح بعدئذ على انفراد عن سبب عدم قدرتهم على شفاء هذا الولد، أجابهم المسيح قائلاً: «لِعَدَمِ إِيمَانِكُمْ. فَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهَذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ، وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرٌ مُمَكِّنٍ لَدَيْكُمْ».

إذن لم يستطع التلاميذ إخراج الشيطان وشفاء الغلام بسبب عدم إيمانهم. أي لم يكن عندهم إيمان البتة. لأن المسيح تابع كلامه موضعاً فقال: أنه لو كان عندهم إيمان كحبة الخردل الصغيرة لاستطاعوا شفاء هذا الغلام، وحتى القيام بأعمال عظيمة جداً كنقل الجبال، إذ لن يكون شيء غير ممكن لديهم. من المعلوم أن حبة الخردل هي حبة صغيرة جداً، وعندما تنمو تصبح شجرة كبيرة.

وكان المخلص المسيح أراد القول لتلاميذه: يكفي أن يكون عندكم إيمان قليل فقط، حتى تقوموا بمثل هذه العجائب، أي يثمر إيمانكم. ويبدو أن التلاميذ حاولوا أن يشفوا الغلام بقوتهم الذاتية وليس بقوة الإيمان التي تعتمد على الله. ولهذا وبخهم المسيح قائلاً: «أَيُّهَا الْجِبَلُ غَيِّرِ الْمُؤْمِنِ، الْمُتَنَوِّي، إِلَى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ؟ إِلَى مَتَى أَحْتَمِلُكُمْ؟» أما نقل الجبال فهو يعني إزالة المشكلات التي قد نراها من الضخامة والرسوخ كالجبال، بواسطة الإيمان، أي ليس الجبال بالمعنى الحرفي للكلمة. ولهذا تابع المسيح قائلاً: «وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرٌ مُمَكِّنٍ لَدَيْكُمْ».

صديقي المستمع، كما لاحظت فإن الإيمان هو أمر حيوي ومهم في حياة الإنسان المؤمن. لكن الأمر لا يتوقف هنا، لأن للإيمان دوراً جوهرياً في علاقتنا كبشر مع الله، فالإيمان هو بداية وأساس هذه العلاقة مع الله. هل تعلم مستمعي أن الإيمان هو مطلب الله الأول لبدء علاقتنا معه؟ ولهذا نجد أن الله تعامل مع الإنسان منذ البداية عن طريق الإيمان. وقد نجح إبراهيم الخليل الذي دعاه الله

في امتحان الإيمان، إذ صدّق مواعيد الله ووثق به، ولهذا دُعي إبراهيم بأبو المؤمنين. وقد امتدح الله إيمان كل من وثق به، وألقى رجاءه عليه. كما هو مكتوب: «لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يُجازي الذين يطلبونه» (عبرانيين ١١: ٦). ولهذا يُعتبر الإيمان هو الأساس في المسيحية. لكن ما هو الإيمان المطلوب منا في هذه الأيام؟ وهل مجرد الإيمان بالله يكفي؟ مع العلم أن «الشياطين يؤمنون ويقشعرون» (يعقوب ٢: ١٩).

عندما كان الرسولان بولس وسيلا في السجن بمدينة فيلبي، حصلت زلزلة عظيمة، وتزعزعت أساسات السجن، فانفتحت الأبواب وانفكت قيود المسجونين. فخاف حافظ السجن واستل سيفه وكان مزمماً أن يقتل نفسه، لكن بولس هدأه. وعندها قال لبولس وسيلا: «يا سيدي ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟» فأجاباه: «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك» (أعمال الرسل ١٦: ٣٠-٣١).

أجل، بعد مجيء المخلص المسيح إلى عالمنا، أصبح الإيمان به هو الإيمان المطلوب من كل إنسان لكي يحصل على خلاص الله. والسبب لأن المسيح قد مات على الصليب مكفراً عن ذنوبنا وقام من بين الأموات لكي يمنحنا الحياة الجديدة والخلود.

هل ما زلت تعتقد مستمعي أن مجرد الإيمان بالله يجعلك تحظى برضاه؟ وهل تظن أن بأعمالك الصالحة تستطيع أن تتال مكافأته؟ وماذا عن الآثام التي تستعبدنا جميعاً؟ إن الإيمان بالمخلص المسيح هو الذي يحرك من عبودية الخطية ويهبك الغفران عنها. فهل تراك تؤمن بهذا المخلص الفريد؟ وهكذا تتال رضى الله وخلاصه الكامل.